Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماذا عن كيف أرى الله

دكتور
عبد الودود شلبي

Bibliotheca Alexandrina
0133504

297

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كيف أرى الله..؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة الأولى
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الطبعة الثانية
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

الطبعة الثالثة
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

الطبعة الرابعة
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

بيروت ص.ب ٦٤ ٨ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٦٥٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا داشروق - تلكس LE 20175 SHOROK
القاهرة ١٦ شارع سوادحسبي - هاتف ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا شروق - تلكس UN 93091 SHROK
SHOROUK INTERNATIONAL, 316/318 REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL 637 2743/4 TELEX SHOROK 25729G

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبد الودود شلبي

كيف أرى الله..؟

دار الشروق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

وما قدروا الله حق قدره . والأرض جميعا قبضته يوم القيامة . والسموات مطويات بيمينه . سبحانه وتعالى عما يشركون .

صدق الله العظيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بَيْنَ يَدَى الكِتَابُ

الحمد لله . والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد ..

فالصراع بين الإيمان والكفر قديم منذ الأزل فوق هذه الأرض .

وهو صراع لا يكون إلا حين تختل الموازين العادلة في عقول البشر ، وحين تنطمس البصائر الهادية في قلوب الناس ..

« وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم ، إن هم لا يظنون »[1] .

إنه المنطق نفسه الذي يروج له المفلسون من رصيد الإيمان في هذا العصر الهاربون من تبعات الحكمة

---

(١) الجحرات : الآية : ٢٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعقل ، الشاردون في متاهات الجحود والشك ، القانطون من رحمة الله في السموات والأرض ...

فليس جديداً كما قلت هذا الصراع ولا هذا النزاع ، ولكن الجديد هو أسلوب الجدل والحوار والاقناع وهو جدل وحوار لا يقوم أصلاً على بينة ، ولا ينهض أساساً لدليل أو حجة .

* * *

إن وراء هذا الوجود الكوني مشيئة تدبره وقدراً يحركه ، وناموساً ينسقه .

هذا الناموس ينسق بين مفردات هذا الوجود كلها ، وينظم حركاتها جميعاً ، فلا تصطدم ، ولا تختل ، ولا تتعارض ، ولا تتوقف عن الحركة المنتظمة المستمرة إلى ما شاء الله ..

كما أن هذا الوجود خاضع مستسلم للمشيئة التي تدبره ، والقدر الذي يحركه ، والناموس الذي ينسقه . بحيث لا يخطر له في لحظة واحدة أن يتمرد على المشيئة ، أو يخالف هذا الناموس .

وحين تسلم فطرة الإنسان ويطلق لملكاته عنان النظر في هذا الكون فانه لا يجد فكاكاً من الاعتقاد بالخالق الأعظم جل شأنه ، ولا فراراً من الحقيقة التي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يشع نورها في قلبه ، ولا مبرراً ـ أو شبه مبرر ـ يدعوه للشك في هذا الوجود والحكمة من خلقه ، وكما يقول أحد العلماء ..

إن عين أية نملة صغيرة كفيلة وحدها بفقء عين أي ملحد ... !

وهذا الكتاب ليس إلا صيحة مؤمنة إلى الله ، وحجة قائمة على أدعياء العلم والمعرفة والحياة ..

إنه كتاب اليقين للتائهين في دروب الشك . ونهاية المطاف في رحلة طويلة بحثاً عن الحق ، وكتاب الإيمان للظامئين إلى الهداية والنور ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباحثون عن الحقيقة ؟

سوف يأتي ذلك اليوم الذي يعرف فيه الناس أن المادة وحدها لا تجلب سعادة وأنها قليلة النفع في حياة البشر . وأن أعظم الكشوفات سيتم في ذلك اليوم الذي يتجه فيه كل العلماء إلى الله والصلاة ..

تشارلس ستايميتز

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الكون الذي نعيش فيه ...

من يكشف سره ؟ من يسبر غوره ؟

إن العالم يتقدم بسرعة فائقة مذهلة .. ولكن إلى أين ؟ لا أحد يدري كما يقول « أينشتاين » .. كل ما نراه يؤكد اننا نجري إلى هاوية سحيقة . ولم ؟ لأن عنصر الايمان كما يقرر هذا العالم الفيلسوف بدأ يضمر في نفوسنا ويذوي .. ولأن قلة من الأدعياء لبسوا مسوح العلم فوجهوا شراعه الهادي إلى بحر متلاطم من الظلمات والشك . وافتعلوا بأباطيلهم الشائهة تناقضاً بين الدين والعلم ..

فهل الأمر كذلك .. ؟

لنقرأ أولاً ما نشره الدكتور « ديتريت » في بحث عالج فيه هذه الدعوى باستفتاء قام به بين (٢٩٠) عالماً ، في الفلك والكيمياء والهندسة والطب .

وكان السؤال الأول الموجه إلى هذه النخبة من العلماء هو :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هل تؤمن بوجود إله خالق لهذا الكون ؟ وكانت نتيجة هذا الاستفتاء مرتبة على النحو التالي :

٢٤٢ من هؤلاء أعلنوا إيمانهم الكامل بالله ..
٢٨ لم يصلوا إلى عقيدة ..
٢٠ لا يهتمون بالعقائد الدينية أو التفكير فيها ..

وقد تتبعت في العام الماضي هذا الاستفتاء الذي أعلنت عنه صحيفة انجليزية (نيوز اف ذا وورلد) وكان موضوع هذا الاستفتاء عن الله ، وعن الإيمان به ، وعن كيفية تصوره . وكانت الأسئلة موجهة إلى قطاعات مختلفة من الشعب البريطاني ، وبخاصة إلى الشباب ورجال الفكر ، وكانت النتيجة التي توصلت إليها الصحيفة ان الغالبية العظمى من المشتركين في هذا الاستفتاء يؤمنون بالله الخالق ، وأن المشكلة الكبرى هي في تصوره سبحانه ، وفي الطريقة المثلى التي يعبد بها فوق هذه الأرض ..

وعلى عكس ما كانت تتوقع الصحيفة .. فان كثيراً من العلماء ورجال الفكر أعلنوا رأيهم بصراحة في سقوط الفلسفة المادية ، وفي انهيار أركانها القائمة على الوهم والقصور والعجز . وكما يقول العلامة كاميل فلامريون :

نحن نفكر ولكن ما هو الفكر ؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال .. ونحن نمشي ولكن ما هو العمل العضلي ؟ لا أحد يعرف ذلك .. إن إرادتي قوة غير مادية .. وإن خصائص نفسي غير مادية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيضاً . ومع دلك فإذا أردت أن أحرك ذراعي أرى أن إرادتي تحرك مادتي .. فكيف يحدث ذلك .. ؟ وما هو الوسيط الذي يتوسط للقوى العقلية في إنتاج نتيجة مادية ؟ لا يوجد من يستطيع أن يجيب على هذا أيضاً . بل قل لي : كيف ينقل العصب البصري صور الأشياء إلى العقل ؟ قل لي : كيف يدرك العقل هذا ؟ وأين مستقره ؟ وما هي طبيعة العمل العقلي ؟ قولوا أيها الملحدون .. ولكن . كفى . كفى . فأني أستطيع أن أسألكم عشر سنين ولا يستطيع أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر سؤال من أسئلتي.... !!!

يقول العلامة الهندي الدكتور عناية الله المشرقي :

كنت أدرس في كمبردج . وذات يوم كانت السماء تمطر بغزارة . وخرجت من بيتي لقضاء حاجة فإذا بي أرى الفلكي المشهور « السير جيمس جينز » ذاهباً إلى الكنيسة والانجيل والشمسية تحت ابطه .. فدنوت منه وسلمت عليه . فلم يرد علي .. فسلمت عليه مرة أخرى فسألني : ماذا تريد مني ؟ فقلت له : أريد سؤالك عن شيئين :

الأول : لماذا لا تفتح مظلتك رغم نزول المطر ؟ فابتسم السير جينز وفتح المظلة .

وأما السؤال الثاني : فلماذا تذهب إلى الكنيسه وأنت عالم كبير ذائع الصيت . ؟

وهنا توقف العالم الكبير لحظة . ثم قال لي : نلتقي معاً في هذا المساء لنناقش هذه القضية .. وذهبت إليه في الموعد المحدد . فسألني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الفور ماذا كان سؤالك لي هذا الصباح ؟ ودون أن ينتظر مني جواباً بدأ يتكلم عن الكون . ونظامه الدقيق المدهش وعن الكواكب في السماء ، ونظامها العجيب المحكم ... وعن المجرات وأبعادها اللامتناهية وطوفان أنوارها الباهرة .. و ... ونظرت إلى العالم الكبير فإذا به يبكي .. ويداه ترتعدان من خشية الله . ثم توقف فجأة . وبدأ يقول :

عندما ألقي نظرة على روائع خلق الله . يبدأ كياني يهتز من الجلال الإلهي . وعندما أركع أمام الله وأقول : إنك لعظيم أحس بسعادة تفوق كل سعادة ..

فقلت له : لقد تأثرت كثيراً بما قلت : فهل تسمح لي بقراءة آية من آيات كتابي المقدس ؟

فأجاب المستر جينز : بكل سرور تفضل ..

فقرأت عليه قول الله سبحانه ..

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض . وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وما كدت أتوقف حتى صرخ السير جينز قائلاً :

ماذا قلت ؟

إنما يخشى الله من عباده العلماء . مدهش .. غريب .. عجيب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جداً ... من أنبأ محمداً بهذا ؟ هل هذه الآية في القرآن حقاً ؟ لو كان كما تقول .. فاكتب شهادة عني أن القرآن وحي من عند الله .. لقد كان محمد أمياً .. ولا يمكن أن يكشف هذا السر بنفسه .. ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السر .. مدهش وغريب وعجيب جداً .. ! !

وحينما فرغ المهندس « ايفل » من بناء برجه الشامخ في قلب باريس زاره لأول مرة العالم الانكليزي الكبير « أديسون » وكتب في السجل الذهبي لبرج ايفل هذه الكلمات :

إلى السيد « ايفل » من « أديسون » الذي يكن له أعمق احترام وأكبر اعجاب للمهندسين جميعاً وعلى رأسهم المهندس الأعظم الله ...

وهذا واحد من علماء الأحياء ينظر إلى ما في الوجود من كائنات فلا يملك سوى أن يقول : ان عين اية فراشة وجناحها . لهما الكفيلان وحدهما بسحق أي ملحد ..

وينظر عالم طبيعي إلى ما في الكون من أعاجيب .. فيجد العقل البشري عاجزاً عن تفسير أصغر سر من أسرار الكون . فيهتف قائلاً :

حاول أن تفسر لي أية ذرة صغيرة من رمال الصحراء وأنا أفسر لك الله ...

وهذا « فابر » أحد العلماء يكتب في مذكراته قائلاً :

ان ثمة عقلاً لا متناهياً يحكم العالم . وكلما أنعمت النظر استطعت أن أبصر ذلك العقل الذي يشع خلف أسرار الأشياء .. انني أعلم أن البعض قد يجد في هذا القول مدعاة للسخرية ولكن هذا لا يعنيني في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قليل أو كثير .. انكم قد تستطيعون أن تنتزعوا جلدي من جسدي . ولكنكم لن تستطيعوا أن تنتزعوا من عقلي ايماني بالله .. استغفر الله .. فأني لا أومن بالله فقط .. بل أراه ....

يقول الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار :

عرفت تولستوي منذ ثلاثين سنة . وقرأت له قصصاً مترجمة ، وأعجبتني أقصوصة له قرأتها في الأدب البنغالي .. وموجز القصة :

أن ملكاً عادلاً محبوباً من رعيته لم يرزق بولد . ولكن ذلك لم يهمه ، فقد كان له في حبه لأبناء شعبه غنىً عن حب الولد . وكان أكبر من في مملكته علماً وعقلاً وفضلاً وخلقاً ، وذات يوم طاف به الشيطان فأخذ يفكر في الله تفكيراً ينزع إلى الشك والألحاد . وجمع أكبر مفكري مملكته وطلب إليهم أن يروه الله ، وأمهلهم ثلاثة أيام . ومضت المدة . واجتمعوا لديه وكلهم مستعد للموت . وكان معهم راع قال للملك : أنا أستطيع أن أريك الله .

فقال له : هيا أرني .. فطلب إليه أن يحدق في الشمس تحديقاً ، فعجز الملك وخاف على عينيه . فقال له الراعي : إذا عجزت أن تحدق في الشمس وهي من مخلوقاته وليست أكبرها ، فكيف تريد أن ترى الله بعينيك هاتين الضعيفتين .. ؟

وشعر الملك بهزيمته عندما صفقت الجماهير للراعي ، ولكنه استجمع قواه حين استمع للراعي وهو يسأله عن اسم ابنه .. فقال الملك وهو يشعر بزهو النصر الذي خاله في صفه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا لرعونتك كيف اسمى (عدما) لا وجود له ؟

وهنا قال الراعي : صدقت أيها الملك ، فهل يسيغ عقلك أن يصطلح الناس على تسمية الخالق (الله) وهو لا وجود له ؟ إذا استحال عليك أنت أن تسمي ابناً لم ترزقه ، فكيف بملايين الملايين تسمى من لا وجود له (الله) ؟ وزاد تصفيق الناس للراعي واشتعل غيظ الملك وسأله : من كان قبل الله ؟

وأجابه الراعي : أيعرف مولاي العد ؟

فلما رَدَّ الملك بالإيجاب طلب إليه الراعي أن يعد ، فبدأ الملك يعد .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. ولكن الراعي فاجأه بقوله : عد يا مولاي قبل الواحد . فغضب الملك وقال : ويلك .. أيوجد شيء قبل الواحد ؟ وهنا صاح الراعي : كذلك الله واحد ليس قبله شيء ..

ثم سأله الملك عن عمل الله .. فقال له الراعي : إن هذا الجواب يحتاج إلى أن تبادل ملابسنا .. أنت تلبس ثيابي ، وأنا أرتدي ملابسك . وبعد ذلك أجيبك .

وتبادلا الملابس ، فغدا الراعي ملكاً وقال : عمل الله عز وجل يعز من يشاء ويذل من يشاء فهاأنذا الراعي الحقير صرت ملكاً ، وأنت الذي كنت قبل دقائق ملكاً صرت راعياً فقيراً .. الأعزاز ، والأذلال والابقاء ، والافناء عمل الله ..

* * *

وقد روي عن الامام أبي حنيفة ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن ملحداً من علماء الروم ، ناظر علماء الاسلام فأفحمهم ، إلا حماداً شيخ أبي حنيفة . ومع هذا لم يظهر حماد على الدهري .. وفي اليوم الثاني اجتمع الناس بالجامع ، وصعد الملحد المنبر وطلب المناظرة ، وأعلن تحديه لعلماء الاسلام . فظهر أبو حنيفة من بين الصفوف حتى إذا كان على مقربة من المنبر قال : ها أنذا جئت أناظرك ..

ولكن عين الملحد تقحمت الامام الأعظم فاستصغر شأنه لحداثة سنه . ولكن الإمام تحداه إذ قال : هات ما عندك ..

فعجب الدهري من جرأة أبي حنيفة وقال له : أيصدق العقل أن يوجد أول ليس قبله شيء ؟

فأجابه الامام : نعم ، وأردف قائلاً : أتعرف العدد ؟

قال الدهري : نعم

قال أبو حنيفة : فما قبل الواحد ؟

قال الدهري : هو الأول ، ليس قبله شيء ..

فقال ابو حنيفة : كذلك الله سبحانه وتعالى ..

قال الدهري : في أي مكان هو كل موجود لا بد له من مكان.

فسأله الامام ، إن كان يعرف اللبن فلما أجابه أنه يعرفه سأله : أفي هذا اللبن زبد ؟

قال الدهري : نعم

قال أبو حنيفة : في أي مكان منه ؟

قال الدهري : لا يختص بمكان دون مكان ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال الامام : كذلك الله جل شأنه

قال الدهري : إلى أي جهة يتجه ؟ وكل شيء لا يخلو من الجهات .

قال الامام : إذا أشعلت السراج ، فإلى أي جهة يتجه نوره ؟

قال الدهري : تستوي لنوره الجهات ..

قال الامام : كذلك الله خالق السماوات والأرض

قال الدهري : وماذا يعمل هو ؟

قال الامام : سألت هذه الأسئلة وأنت على المنبر وأجبتك عنها وأنا على الأرض ، والآن .. انزل لأصعد أنا المنبر ..

فنزل الدهري وصعد الإمام وقال سألتني عن عمل الله . عمله جل شأنه : إذا كان على المنبر كافر مثلك أنزله ، وإذا كان على الأرض مؤمن مثلي رفعه .. وكل يوم هو في شأن ....

* * *

لقد سئل احد العارفين عن الدليل على الله . فقال : الله .

فقيل له : فما العقل ؟ فقال عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله ..

ولو أن إنسان هذا العصر أدرك حقيقة نفسه ، وحدود عقله لاختفت من الوجود همهمات الالحاد والزيغ ، وعاش الناس في طمأنينة بالغة من الهدوء وراحة النفس ..

لقد درست ما يسمى بالفلسفة . في كلية أصول الدين بالأزهر الشريف . وهي كلية تهدف رسالتها إلى تركيز قواعد الإيمان واليقين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في النفس .. كانت الفلسفة تمثل جانباً كبيراً من مناهج الدراسة في هذه الكلية . الفلسفة بكل مدارسها واتجاهاتها و بخاصة الجانب الالهي منها ...

ما هذا الذي يقوله سقراط ، وأرسطو ، وأفلاطون ؟ ماذا يقول نيتشه ، وديكارت وكانت ؟ وماذا يدعي الآخرون عن صاحب العظمة والجلال والكمال ؟

أقوال يأخذ بعضها بخناق بعض ، ودعاوى تفتقد حرارة الإيمان وصدق اليقين ، ودليل ينقصه الدليل ليحمل اسم الدليل ..

كنت متمرداً على كل هذه الثرترة واللغو .. وكنت أكتم في نفسي إحساساً بأن هذا كله هراء وعجز .. إن الله سبحانه فوق كل تصور ووصف ، وعقل الإنسان مهما بلغ من المعرفة فهو عقل محدود في عالم محدود .. وحين يتجاوز هذا العقل حده يضل ويزيغ فلا يصدر عنه إلا الضلال والزيغ ..

يالله . ! ! !

سامحنا على هذا الغرور والادعاء .. فما كتب هذا الكتاب ليدلل على وجودك الحق .

فمتى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟

ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟

إذا ما اتجه الفكر في السموات حيث انتشرت النجوم في الليل .. وإذا ما كل البصر فيما لا نهاية له من الآفاق المظلمة .. وإذا ما خشعت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفس خشعتها من رهبة السكون الشامل .. فانك تشرف بوجهك الكريم من خلال هذه الآفاق ... وتسمع صوتك في ذلك السكون .. وتلمس بعظمتك النفس الخاشعة المطمئنة ... حينئذ تبدو الآفاق المظلمة كأنها باسمة مشرقة . ويتحول السكون إلى نبرات شجية . تنبعث من كل صوت . وحينئذ تتغنى النفس الخاشعة لتقول :

أنت .. أنت الله ... ! ! !

فيا عجباً كيف يعصي الإله أم كيف يجحده الجاحد ؟

وفي كل شيء له آية .. تدل على أنه الواحد ..

* * *

لكن لماذا كان هذا الكتاب ؟

إن العالم الإسلامي يتعرض لضغوط مختلفة . ضغوط تهدف إلى اقتلاع جذور العقيدة ضغوط تتمثل في هذا الطوفان الكاسح من الكتب والمذاهب الفاسدة ، في هذا الأعصار القاصف لمعالم الحق والخير والهداية .. في هذا التدبير الغاشم ضد ما بقي فينا من عناصر الحياة والقوة . وانها لخيانة أكبر خيانة ، أن يسكت صاحب قلم يستطيع أن يكتب ، أو صاحب رأي يستطيع أن ينطق ، أو صاحب إيمان في قلبه ذرة من الحق والغيرة والمنطق ..

وإذا كان منطق هذا العصر هو العلم . وكانت التجربة هي الدليل في الحكم . فقد اعتمدت في عرض هذا الكتاب هذه الطريقة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنه حصيلة تجارب مختلفة للراغبين في الحق والحقيقة ....

وبعد ..

فالإلحاد كما يقول العلامة « كريسي موريسون » : نوع من الأنانية حيث يجلس الإنسان على كرسي الله .. لسوف تقضي هذه الحضارة بدون العقيدة والدين . ولسوف يتحول النظام إلى فوضى .. سوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتمسك بالقيم . وسوف يتفشى الشر في كل مكان في الأرض .. إنها لحاجة ملحة أن نقوي من صلتنا وعلاقتنا بالله .....

وكما يقول رينان :

من الممكن أن يتلاشى كل شيء نحبه، ومن الممكن أن تتلاشى الحضارة والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي الدين ويتلاشى ، بل سيبقى أبد الأباد حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي وفساده ...

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقائق وأوهام

إن الدين والعلوم الطبيعية يقاتلان معاً في معركة واحدة ضد الشك والجحود والخرافة . ولقد كانت الصيحة الواحدة في هذه الحرب وستكون دائماً إلى الله ...

ماكس بلانك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقول الفيلسوف الألماني كانت :

إيتوني بالمادة .. وسوف أعلمكم كيف يخلق الكون منها ..

ويقول هيجل :

إنني أستطيع خلق الإنسان لو توفر لي الماء والمواد الكيماوية والوقت .

ويقول نيتشه في نوبة غرور وصرع :

لقد مات الإله الآن ..

لماذا كل هذا الجحود والهذيان .. ؟ لأنهم رأوا ـ أو هكذا تصوروا وادعوا ـ أن الكون مادي من أوله وآخره وأن كل حركات الكون ومظاهره ليست إلا عملاً مادياً أعمى ، وأن كل الأشياء التي كانوا يفترضون وراءها قوي خفية عظمى قد اكتشفوا الآن وجود قوى معروفة وراءها تعمل بمقتضاها وموجبها فإذا كان قوس قزح هو انعكاس الأشعة الشمسية على المطر . فالباطل كلياً أن تقول إن قوس قزح آية من آيات الله في السماء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو كما يقول هكسلي :

إذا كانت الوقائع نتيجة لعلل طبيعية فهي بالطبع ليست نتيجة لعلل غير طبيعية.أو بعبارة أوضح ليست من صنع إله خالق للكون والطبيعة .

أين يكمن الضعف في هذا الكلام كما يقول العلامة المسلم وحيد خان : إننا نستطيع فهم هذا الضعف في المثال البسيط التالي .

قد يشاهد أحد الرجال قاطرة تجري على قضبان الحديد فيتبادر إلى ذهنه سؤال : كيف تجري هذه العجلات الثقيلة ؟ وبعد قليل من المشاهدة يصل الرجل إلى آلات وتروس القاطرة فيرى أن العجلات الثقيلة تتحرك بتحرك التروس والآلات . أفبعد هذا الاكتشاف يحق لهذا الرجل أن يزعم أن آلات القاطرة وحدها هي السبب في تحرك عجلاتها . من الواضح أن الأمر ليس كذلك بهذه البساطة ، لأنه يجب أن نعترف بالسائق الذي يدير الماكينات ، ثم المهندس الذي صنع تلك الماكينات وأوجد القاطرة . فلا وجود في الحقيقة للقاطرة ، ولا يمكن إحداث الحركة في آلاتها بدون عمل المهندس والسائق . فالماكينات الداخلية ليست هي الختام في قصة القاطرة بل ان الحقيقة النهائية هي (العقل) الذي أوجد تلك الماكينات ، ثم أدارها وحركها وفق إرادة مرسومة .

لقد أصاب عالم طبيعي حين قال : (ان الطبيعة لا تفسر الكون ، وإنما هي نفسها في حاجة إلى تفسير) .

Nature does not explain, she is in need of explanation.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وذلك لأن الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون ، وليست تفسيراً له : ولنفهم هذا من مثال آخر :

إن الكتكوت يعيش أيامه الأولى داخل قشرة البيضة القوية ، ويخرج منها بعد ما تنكسر هذه القشرة . لقد كان الإنسان القديم يؤمن بأن الله أخرجه ، ولكنا شاهدنا اليوم ـ بالمنظار ـ انه في اليوم الحادي والعشرين يظهر قرن صغير على منقار الكتكوت يستعمله في تكسير قشرة البيضة لينطلق خارجاً منها ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيضة .

هذه المشاهدة كما يزعم المعارضون أبطلت الفكرة القديمة القائلة بأن الإله يخرج الكتكوت من البيضة إذ قد رأينا يقيناً أن قانون (الواحد والعشرين يوماً) يحدث هذه العملية . والحقيقة أن المشاهدة الجديدة لا تدلنا إلا على حلقات جديدة للحادث ولا تكشف عن سببه الحقيقي ، فقد تغير الوضع الآن فأصبح السؤال لا عن (تكسر القشرة) بل عن (كيف يظهر القرن) ؟ إن السبب الحقيقي سوف يتجلى لأعيننا حين نبحث عن العلة التي جاءت بهذا القرن ، العلة التي كانت على معرفة كاملة بأن الكتكوت سوف يحتاج إلى هذا القرن ليخرج من البيضة . فنحن لا نستطيع أن نعتبر الوضع الأخير إلا أنه (مشاهدة للواقع على نطاق أوسع) ، ولكنه ليس تفسيراً له .

إن الإكتشاف الذي اعتبره معارضو الدين بديلاً للاله يمكننا أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفسره بسهولة بأنه (أسلوب عمل الطبيعة) . ولكننا نستطيع أن نقول بكل قوة :

إن الله يجري إرادته في الكون بواسطة هذه القوانين التي اكتشفت علومنا الحديثة بعض أجزائها فقط حتى الآن . لنفترض أن رجال الدين يعتقدون أن الله يأتي بالمد والجزر في البحار .. ثم يأتي عالم من علمائنا الجدد ويقول لنا :

إن المد والجزر له سببان هما قوة الجاذبية في القمر ، والتكوين الجغرافي أي الوضع الجغرافي لأجزاء الأرض البرية والبحرية

إننا سنستقبل هذا الكشف العلمي بكل سرور فليس هناك من داع يقتضي رفض هذا الكشف لأنه لا يؤثر إطلاقاً على صواب عقيدتنا . إننا نسلم بأن حدوث المد والجزر يقتضي قوة الجاذبية ويقتضي وضعاً جغرافياً معيناً لأجزاء الأرض . ولكن ما هي قوة الجاذبية ، وما هو الوضع الجغرافي الأرضي ؟ إنهما ـ أيضاً ـ من خلق الله ، والله يستخدم هذه الوسائل لتنفيذ إرادته فعلاً ، ولولا استخدامه لهذه الوسائل والأسباب المحددة لتنفيذ مشيئته لحلت الفوضى في الكون ولانعدم النظام . فالله سبحانه وتعالى لا يزال هو السبب الأول والحقيقي لطوفان البحار[1]... وليست المادة ولا المصادفة العمياء ..

فالأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها ...

---

(١) من كتاب الدين والعلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيكون من ذلك تتابع الليل والنهار ...
وهي تسبح حول الشمس مرة في كل عام...

فيكون في ذلك تتابع الفصول الذي يؤدي بدوره إلى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية أكثر مما لو كانت الأرض ساكنة .

ويحيط بالأرض علاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها إلى ارتفاع كبير يزيد على خمسمائة ميل ، ويبلغ هذا الغلاف الغازي من الكثافة درجة تحول دون وصول الشهب القاتلة التي تنقض علينا بسرعة ثلاثين ميلاً في الثانية ..

والغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ، ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يمكن أن يكون مطراً يحي الأرض بعد موتها .

ويمتاز الماء بأربع خواص هامة تعمل على صيانة الحياة في المحيطات والبحيرات والأنهار وبخاصة عندما يكون الشتاء قارصاً وطويلاً فالماء يمتص كميات كبيرة من الأوكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة ، وتبلغ كثافة الماء أقصاها في درجة أربعة مئوية ، والثلج أقل كثافة من الماء مما يجعل الجليد المتكون في البحيرات والأنهار يطفو على سطح الماء لخفته النسبية فيهيء بذلك الفرصة لاستمرار حياة الكائنات التي تعيش في الماء في المناطق الباردة . وعندما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة الأحياء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي تعيش في البحار ..

أما الأرض اليابسة فهي بيئة ثابتة لحياة كثير من الكائنات الأرضية . فالتربة تحتوي العناصر التي يمتصها النبات ويمثلها ويحولها إلى أنواع مختلفة من الطعام التي يفتقر إليها الحيوان .

ويوجد كثير من المعادن قريباً من سطح الأرض مما هيأ السبيل لقيام الحضارة الراهنة ونشأة كثير من الصناعات والفنون .. وكثيراً ما يسخر البعض من صغر حجم الأرض بالنسبة إلى ما حولها من فراغ لا نهائي .

ولو علم هذا البعض أن الأرض لو كانت صغيرة كالقمر أو حتى لو كان قطرها ربع قطرها الحالي لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي اللذين يحيطان بها ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت .

ولو كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالي لتضاعفت مساحة سطحها أربعة أضعاف وأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه ، وانخفض تبعاً لذلك ارتفاع غلافها الهوائي ، وزاد الضغط الجوي من كيلو جرام واحد إلى كيلو جرامين على السنتيمتر المربع ويؤثر ذلك أبلغ الأثر في الحياة على سطح الأرض فتتسع مساحة المناطق الباردة اتساعاً كبيراً . وتنقص مساحة الأرض الصالحة للسكنى نقصاً ذريعاً . وبذلك تعيش الجماعات الإنسانية منفصلة أو في أماكن متنائية فتزداد العزلة بينها ويتعذر السفر والاتصال بل قد يصير ضرباً من الخيال .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولو كانت الأرض في حجم الشمس مع احتفاظها بكثافتها لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها مائة وخمسين ضعفاً ، ولنقص ارتفاع الغلاف الجوي إلى أربعة أميال ، ولأصبح تبخر الماء مستحيلاً ، ولارتفع الضغط الجوي إلى ما يزيد على مائة وخمسين كيلو جراماً على السنتيمتر المربع ولوصل وزن الحيوان الذي يزن رطلاً واحداً إلى مائة وخمسين رطلاً ، ولتضاءل حجم الإنسان حتى صار في حجم السنجاب ولتعذرت الحياة الفكرية لمثل هذه المخلوقات .

ولو أزيحت الأرض إلى ضعف بعدها الحالي عن الشمس لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية ، وقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول ، وتضاعف تبعاً لذلك طول فصل الشتاء وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض ..

ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليه الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض أربعة أمثال ، وتضاعفت سرعتها المدارية حول الشمس ، ولآلت الفصول إلى نصف طولها الحالي ولصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة .

فإذا لم تكن الحياة قد نشأت بحكمة وتصميم وإرادة عليا فكيف نشأت ؟

يقولون : إنها الصدفة .. الصدفة هي التي صنعت ، والصدفة هي التي أوجدت والصدفة هي التي جات بي وبك من العدم إلى الوجود فخلقت وأبدعت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والآن تعال معي ثانية نقابل هذه (الصدفة) التي لها كل هذا السلطان والقوة ..

لنفرض أن معك كيساً يحوي مائة قطعة رخام تسع وتسعون منها سوداء وواحدة بيضاء والآن هز الكيس وخذ منه واحدة . إن فرصة سحب القطعة البيضاء هي بنسبة واحد إلى مائة والآن أعد قطع الرخام إلى الكيس وابدأ من جديد . إن فرصة سحب القطعة البيضاء لا تزال بنسبة واحد إلى مائة . غير أن فرصة سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين هي بنسبة واحد إلى عشرة آلاف .

والآن جرب مرة ثالثة . إن فرصة سحب تلك القطعة البيضاء ثلاث مرات متوالية هي بنسبة واحد في المليون ثم جرب مرة أخرى ومرتين تصبح الأرقام فلكية .. يعني لا نهاية لها ..

هل تريد مثلاً آخر .

خذ عشرة بنسات أو قروش كلاً منها على حدة . وضع عليها أرقاماً مسلسلة من ١ ـ ١٠ ثم ضعها في جيبك وهزها هزاً شديداً ، ثم حاول أن تسحبها من جيبك حسب ترتيبها من ١ إلى ١٠ ... إن فرصة سحب البنس أو القرش رقم واحد هي بنسبة ١ إلى ١٠ وفرصة سحب رقم ١ ورقم ٢ متتابعين هي بنسبة ١ إلى ١٠٠.

وفرصة سحب البنسات التي عليها أرقام١، ٢، ٣، متتالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠ وفرصة سحب ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ متوالية هي بنسبة ١ إلى ١٠،٠٠٠ وهكذا حتى تصبح فرصة سحب البنسات بترتيبها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من ١ إلى ١٠ هي بنسبة ١ ـ ١٠ ملايين . . . فكر وتأمل . . . !

هل تصدق أن رجلاً أعمى يمسك بيده عشر إبر ، فيمسك إحداها بيده اليسرى ثم يرفعها إلى أعلى ويقذف بالابر الباقية في الهواء بحيث يدخل رأس الابرة الأولى في ثقب الابرة التي في يده اليسرى .. ثم يكرر عملية قذف الابر في الهواء أيضاً ليدخل رأس كل ابرة في ثقب الابرة الأخرى حتى يكتمل تماسك الابر العشر هكذا ؟

يقول مصطفى محمود :

لن تنتهي الأمثلة في علم النبات والحيوان والطب والفلك . والقول بأن كل هذا الاتساق والنظام حدث صدفة واتفاقاً هو السذاجة بعينها . كقولنا ان انفجاراً حدث في مطبعة أدى إلى أن تصطف الحروف على هيئة قاموس محكم .

والكيمائي المغرور الذي قال : إيتوني بالهواء والماء والطين وظروف نشأة الحياة الأولى وأنا أصنع لكم إنساناً .. هذا الكيمائي قد قرر احتياجه سلفاً لكل العناصر والظروف التي يوجد بها الكائن قبل أن يوجد .

ولو أتيناه بكل هذه العناصر وكل تلك الظروف .. ولو أنه ـ فرضاً وجدلاً ـ استطاع أن يهيء هذه الظروف لوجود إنسان فإنه لن يقول صنعته الصدفة . بل انه سوف يقول : صنعته أنا .. ! ! !

أفكلما أعيتنا الحيلة في فهم شيء قلنا إنه حدث صدفة هل هذا معقول ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أي صدفة هذه التي تستدل بها الطيور والأسماك المهاجرة على أوطانها على بعد آلاف الأميال وعبر الصحاري والبحار ؟ أي صدفة هذه التي تجعل الكتكوت يكسر البيضة عند أضعف نقطة فيها ليخرج ؟

أي صدفة هذه التي تجعل (عباد الشمس) يدرك أن حياته مرتبطة بالشمس فيدور حولها ويتجه إليها ؟ هل الصدفة هي التي تصنع لأشجار الصحاري بذوراً مجنحة تطير بها عبر الصحاري إلى حيث تجد ظروف إنبات وري أمطار أحسن ؟

والنحلة التي أقامت مجتمعاً ونظاماً ، ومارست العمارة وفنون الكيمياء المعقدة التي تحول بها الرحيق إلى عسل وشمع ؟ والحشرات الملونة التي اكتشفت أصول فن المكياج والتنكر والتخفي ، وحشرة الترميت التي اكتشفت القوانين الأولية لتكييف الهواء فأقامت بيوتاً مكيفة

هل كل هذا جاء صدفة ....

« أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخالقون؟ أم خلقوا السموات والأرض؟ بل لا يوقنون » . . . صدق الله العظيم . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صوت العقل

أن تكون عاقلاً فذلك شيء جميل . ولكن أعقل العقلاء من يقوده عقله إلى الحقيقة التي بدونها تكون الحياة عبثاً وجنوناً وتعاسة

(حكيم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ قال سقراط : مخاطباً أريستوديم ..

ـ قل لي يا (أريستوديم) .. أترى أنه يوجد رجال يستحقون منك الاعجاب في مهارتهم وحسن أعمالهم ؟

ـ قال أريستوديم : بلى

ـ قال سقراط : ألا تخبرنا عن أسمائهم ؟

ـ قال الرجل : إني في نوع من الشعر أعجب (بهومير) ، وفي الحماسة يطربني (ميلاتييد) ، وفي المراثي يشجيني (سفوكل) ..

ـ قال سقراط : قل لي .. أيهما أحق من اعجابك بالقسط الأكبر ؟ الذين يعملون صوراً لا شعور بها ولا حراك .. أم الذين يخلقون الكائنات الحية المتمتعة بالإدراك ؟

ـ قال الرجل : وحق الاله ان الاحق بالقسط الأكبر من الاعجاب هم الذين يخلقون الكائنات الحية المتمتعة بالحياة .. إذا لم تكن تلك الكائنات نتيجة الصدفة .. بل نتيجة حكمة وإرادة .

ـ قال سقراط : أرأيت لو عرضت عليك مصنوعات مختلفة ، منها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما هو خفي المنفعة ، ومنها ما له منفعة ظاهرة ، وحكمة في الوجود باهرة . فأيهما أولى بأن تظنه من نتائج الصدفة والاتفاق ، أو من نتائج العقل والحكمة ؟

ـ قال الرجل : تقضي علينا بداهة العقل أن نقول : إن الذي له حكمة في الوجود ظاهرة ، ومنفعة في نظام العالم بيِّنة ، هو من فعل العقل والحكمة ؟

ـ قال سقراط :

ألا ترى معنا أن الذي خلق الإنسان ، وسواه . قد أعطاه كل عضو من أعضائه لمنفعة خاصة ، وفائدة بينة ، ومنحه من الأجزاء والأجهزة ، بما يحس ويشعر بواسطته. فمتعه بعينين ليرى بهما المحسوسات وبأذنين ليسمع بهما الأصوات ..

وبماذا كانت تفيد زكيات الروائح لو لم يكن لنا أنوف تدركها وتحس بها ؟ أترى أننا كنا نتمتع بادراك الحلو والمر من الطعام . والالتذاذ بمحبوبات الفم ، لو لم يكن لنا ذلك اللسان الذي وضع لتمييزها والحس بها ؟ ألا ترى من دلائل التدبير والحكمة أن تمتع العين وهي ضعيفة بجفون تفتح وتغلق عند الحاجة ، وتنطبق عند النوم ؟ وأن توهب تلك العين غرباالاً من أهداب ليقيها فعل الرياح الثائرة ؟ وأن تمنح لها تلك الحواجب لتمنع عنها غوائل العرق المتساقط من الرأس ؟ وأن تصنع الآذان على صورة لا تكل من سماع الأصوات ، ولا تعيا من الحس بها ؟ أترى نفسك بازاء كل هذه الأعمال التي تدل على تدبير وحكمة . لا تزال متردداً بين عزوها إلى الصدفة والاتفاق ، وبين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسنادها للحكمة والعدل ؟

ـ قال الرجل : لا ، والاله فان أقل نظر في هذه الكائنات الحية يدلنا على أن هناك (ذات) عالم رحيم ، خلقها وعدلها .

ـ قال سقراط : زد على هذا ، الميل المودع في الطبائع للتكاثر ، والرحمة المودعة في قلوب الأمهات لتغذية صغارها ، وإعالتهم ، وما غرس في نفوس تلك الصغار من غرائز حب الحياة والهرب من الموت .

ـ قال الرجل : لا شك أن كل هذا يدل على أنه اختراع موجد حكيم ، أعد الأرض وهيأها لسكنى الحيوانات .

ـ قال سقراط : أتظن بعد هذا أنك وحدك الكائن المتمتع بحكمة وعلم ، وأنه لا يوجد غيرك في هذا الوجود كله عاقل ولا حكيم ؟ .. أتظن أنك وحدك استلبت من هذا الوجود حكمة وادراكاً ليسا فيه ؟ وإن كل هذه الكائنات بالنسبة لك في هذا العدد ، قامت كلها في هذا النظام البديع بقوة ليست متمتعة بحكمة وعلم ؟

ـ قال الرجل : أنا أنكرها والاله ، لأني لم أر صناعها ، كما أرى الصناع للأعمال الأرضية

ـ قال سقراط : انك لا ترى روحك التي هي سلطانة جسمك .. ومسيرته .. وعلى هذا فيمكنك أن تقول قياساً على قولك السابق بأن أفعالك كلها تصدر عنك عن غير حكمة ولا تدبير ، ولكن عن الصدفة والاتفاق

ـ قال الرجل : لترسل لي الآلهة خبراً بما يجب عليَّ عمله أو تركه .. كما تدعي أنها أرسلت لك أنت ...

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ فأجابه سقراط قائلاً : أترى أن الآلهة لما خاطبت الأثينيين بواسطة الاستقسام أتظن أنها لم تخاطبك في زمرتهم ؟ أتظن أنها حين أظهرت لليونانيين ولجميع العالم مكنونات إرادتها بواسطة المعجزات والآيات ـ كنت أنت وحدك الرجل الذي تركته نسياً منسياً .. أتظن أن الآلهة وضعت في أعماق الفطرة الانسانية عقيدة الاقتدار على إحداث الخير أو الشر ولم تهبها قوة تمكنها من إحداثها ؟ أو تظن أن النوع الانساني قد انخدع بذلك كل هذه القرون ولم يشعر بانخداعه إلى اليوم ؟ ألا ترى أن أقدم التأسيسات الانسانية وأحكمها ، والممالك القائمة ، والأمم العظيمة ، هي أكثرها وأشدها تعلقاً بالتقوى والطاعة ؟ اعلم يا صاح أن روحك كما أن لها السلطة التامة على جسمك ، تديره وتدبره كما شاءت ـ كذلك الحكمة المحيطة بهذا الكون لها التصرف والإرادة النافذة فيه .. أيصح أن يكون مرمى نظرك يصل إلى جملة مراحل ، ونظر الأله لا يلم بكل المخلوقات جملة واحدة ؟ وهل تتصور أن روحك تستطيع أن تشتغل في آن واحد بما يحصل هنا وفي مصر وصقلية ، وان العلم الالهي لا يحيط بكل شيء في لحظة واحدة[1] ؟

* * *

يقول العالم الفيزيولوجي اندرو كوتواي[2] :

---

(١) الله والإنسان . عبد الكريم الخطيب .

(٢) من كتاب الله يتجلى في عصر العلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هل هنالك إله ؟ نعم إنني أومن بوجوده كما أومن بوجود شيء ألمسه ، وكما أومن بوجود نفسي .. إن الاعتقاد بوجود الله هو الوسيلة الفكرية الكاملة والوحيدة التي تجعل لهذا الوجود معنى وهذا الاعتقاد هو الذي يجعل لوجود الإنسان معنى أكثر من إنه مجرد كتلة من المادة أو الطاقة . والاعتقاد بوجود الله هو المنبع لأسمى فكرة إنسانية حول المحبة والقاعدة التي تقوم عليها الأخوة بين البشر بسبب اجتماعهم على محبة الله وطاعته ، وهو مصدر احساسنا بالحقوق والواجبات ، لأننا لا نتساوى إلا في نظر الحب والعدالة والرحمة المطلقة .. والاعتقاد بوجود الله هو الحصن الذي يعصمنا من الشرور ، وهو بعد ذلك الأساس المتين الذي يقوم عليه الإيمان ، وتدوم بسببه القيم الروحية التي يعتبر وجودها رهيناً بوجوده تعالى ...

إن أحداً لا يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول (ان الله موجود) كما أن أحداً لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول (ان الله غير موجود) . وقد ينكر منكر وجود الله ، ولكنه لا يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل . وأحياناً يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء ، ولا بد في هذه الحالة أن يستند شكه إلى أساس فكري . ولكنني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلاً عقلياً واحداً على عدم وجوده تعالى .. وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده كما لمست بنفسي بعض ما يتركه الإيمان من حلاوة في نفوس المؤمنين ، وما يخلفه الألحاد من مرارة في نفوس الملحدين ..

والبرهان الذي يتطلبه الملحدون لاثبات وجود الله هو نفس البرهان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذي يطلب كما لو كان الله تعالى شبيهاً بالإنسان أو شيئاً مادياً ، ولو كان الله مثل هذا الوجود المادي لما وجد هناك مجال للشك في وجوده ولكن الله أراد ضمن ما أراد أن يختبر عقولنا حول الإيمان به ، فترك لنا حرية الاختيار لكي يؤمن به من يؤمن وينكره من ينكر . فالانسان يستطيع إذا شاء ـ بخداع نفسه ـ أن ينكر وجود الله ، وعليه أن يتحمل النتائج . ومعظم الملحدين والمارقين من الأديان ينظرون إلى الله كما لو كان بشراً يمكن التعامل معه تعامل الأنداد فيقولون مثلاً : سوف أعتقد بوجود الله إذا شفاني من مرضي ، أو إذا أنزل المطر أو إذا قضى حاجتي ، أو إذا أوقف الفيضان ، أو إذا محا الشر والظلم من الكون .. الخ وقد يقول بعضهم : إذا كان هناك إله عادل ما أصابني وجع في أسناني . ومعنى ذلك بعبارة أخرى إنني أومن بالله إذا بني الكون أو عدله تبعاً لخطتي الخاصة التي تقوم على الأنانية وتبعاً لصالحي الشخصي .. ! ! !

ولا مناص من الوصول إلى الله ، ولكي يفكر الإنسان فيه تفكيراً مستقيماً لا عوج فيه ولا نفور.عليه أن يحرر عقله من الأنانية ومن الأحقاد ومن كل ما يعوق التفكير الصافي السليم حتى يتسنى له أن يصل إلى الله ويحبه ، وبذلك يسهم في محاربة الشرور والظلم الذي يتحدث عنه من يشكون في أمره ووجوده تعالى ، فلقد اقتضت حكمة الله أن يستخدم الإنسان عقله وإرادته وحريته في اتخاذ القرارات اللازمة لمحاربة هذه الشرور حتى يصير حكم الله في الأرض مثل حكمه في السماء ..

إن اعتقادي بوجود الله الذي خلق كل شيء ، والذي يوجد داخل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكون وخارجه ، والذي يرعاني ويرعاك ، يقوم أولاً على استخدام العقل ، ثم يقوم بعد ذلك على الإيمان والأمل والمحبة . فأنا لا أستطيع أن أمتلك الإيمان والأمل والمحبة إلا إذا كانت كلها قائمة على أساس العقل .. ولا يجوز لإنسان أن يتخلى عن عقله ، بل لا بد من استخدامه استخداماً دقيقاً قوياً ، والإيمان الذي لا يسبقه العقل يعتبر إيماناً ضعيفاً هزيلاً ، ويكون عرضة للهجمات الفتاكة والهزيمة الساحقة .

والاعتقاد بالله يقوم على نفس المبادىء الفكرية التي يقوم عليها الإيمان بمستقبل التقدم المادي ، وهي نفس الأسباب التي تجعلني وتجعلك نعتقد بأن الشمس سوف تشرق صباح الغد أو أنني سأعيش غداً وأذهب إلى عملي وأستمتع به . فإذا كان التفكير هو وسيلة التقدم المادي ، فلماذا لا يكون كذلك وسيلة للتقدم الروحي والأخلاقي ؟ ولا بد أن يكون لدى كل منا الشجاعة التي تجعله قادراً على توضيح الأسباب التي تجعله يؤمن بدين من الأديان وأن يثبت مدى إيمانه بصحة هذا الدين وإخلاصه له بما يؤديه من الأعمال الصالحة ..

ومع ذلك فإنه حتى عندما يقول الناس إنهم يعتقدون بوجود الله على أساس التسليم ، فاننا نجد أن هذا التسليم لا بد أن يكون قائماً على أساس معلومات سابقة ، أو خبرة سابقة ، أو تفكير سابق . فالتسليم بأي شيء لا يمكن أن يقوم إلا على أساس من المعرفة والتفكير . فإذا قلنا أن وجود الله أمر واضح أو بدهي ، فان ذلك قد يعني أننا لا نستطيع أن نتناول الموضوع بطريقة علمية أو شكلية بسبب نقص في تعليمنا ، أو لأننا لم يسبق لنا تنظيم تفكيرنا حول الموضوع أو بسبب عدم الاستعداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمناقشة . أو غير ذلك من الأسباب الأخرى . انني لم أعثر في حياتي كلها على شخص واحد لا يستطيع عند مناقشة هذا الموضوع أن يبين لماذا يعتقد أو لماذا ينبغي أن يعتقد بوجود الله . وتشير معظم الأسباب إلى أنه لا بد أن يكون لهذا الكون من خالق وتلك القوانين التي يسير عليها الوجود من صائغ ، وأنه لا يمكن أن تكون هناك آلة دون صانع تلك حقيقة أساسية يدركها كل إنسان عاقل .

وكما قال ماكس بلانك العالم الطبيعي الذي فتح الطريق إلى أسرار الذرة : ان الدين والعلوم الطبيعية يقاتلان معاً في معركة مشتركة ضد الشك والجحود والخرافة . ولقد كانت الصيحة الجامعة في هذه الحرب وسوف تكون دائماً : إلى الله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظرة إلى فوق

اني لأعجب ممن يتطلع إلى السماء ويشاهد عظمة الخلق ثم لا يؤمن بعد ذلك بالله .

ابراهام لنكولن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال الشيخ الحكيم لتلميذه الحائر [1] :

تعال يا حيران ننظر كما أمرنا الله . وعلى ضوء العلم إلى ما في هذه السموات من شيء مخلوق بلا تفاوت ، وبنيان مشيد بلا عمد ، وإلى ما في بنائها من نجوم لا تعد ..

إن السعة التي عرفها العلم اليوم عن السماء لم تكن تخطر على قلب بشر أنت تعلم أن الضوء يقطع في الثانية ١٨٦ ألف ميل أو ٣٠٠ ألف كيلومتر ، أي أنه يقطع في الدقيقة ١١ مليون و ١٦٠ ألف ميل ، ويقطع في السنة الواحدة من سنينا ستة ملايين مليون ميل أو ستة آلاف مليار ميل ، وهذه المسافة هي التي اصطلحوا على تسميتها (بالسنة الضوئية) ليعبروا بها عن أبعاد السماء الهائلة ، فإذا قيل لنا أن نجماً يبعد عنا سنة ضوئية فهمنا أنه يبعد عنا ستة ملايين مليون ميل ..

فالقمر يا حيران وهو أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض يصل

---

(١) من قصة الإيمان . بين الدين والعلم للشيخ نديم الجسر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نوره إلينا في أقل من ثانيتين لأنه يبعد عن الأرض بحوالي ٢٤٠ ألف ميل .

أما الشمس فيصل نورها إلينا في ٨ دقائق لأن بعدها عن الأرض يقدر بحوالي ٩٣ مليون ميل ..

فهل تدري يا حيران كم يبعد عنا أقرب نجم إلينا بعد الشمس ؟ قال الشيخ الحكيم : ان أقرب نجم إلى الأرض يبعد عنها أربع سنوات ضوئية ومعنى ذلك أنه يبعد عنا ٢٣ مليون مليون ميل .

قال الفتى الحيران لأستاذه الحكيم : هذا شيء هائل .. هائل جداً يا مولاي . .

فقال الاستاذ لتلميذه : هذا شيء تافه لأن هناك (النسر الطائر) الذي يبعد عنا ١٤ سنة ضوئية ، و (النسر الواقع) الذي يبعد عنا ٣٠ سنة ضوئية (والسماك الرامح) الذي يبعد عنا ٥٠ سنة ضوئية أي ٢٩٤ مليون . مليون ميل ..

قال الفتى الحائر لأستاذه الشيخ : ـ شيء هائل ..

قال الأستاذ : هذا أيضاً تافه ، فوراء ذلك نجوم تبعد عنا ألف سنة ضوئية ووراء مجرتنا هذه سدم منها سديم (المرأة المسلسلة) الذي يبعد عنا مليون سنة ضوئية . فهل يكفيك هذا يا حيران لتدرك معنى قول الخلاق العظيم

« والسماء بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال الفتى الحيران لأستاذه الحكيم : زدني يا مولاي من هذه العجائب زدني

قال الشيخ : خذلك كتاباً من كتب الفلك واقرأه تزد د ايماناً وخشوعاً يا حيران: بماذا أحدثك أأحدثك عن أحجام النجوم والشموس التي تبهر العقول ؟ أأحدثك عن الأضواء التي تبهر الأبصار ؟ وما قولي تبهر الأبصار كأني أحدثك عن شمسنا .. إن هناك نجوماً أبهر نوراً من شمسنا وأكبر ، وما شمسنا هذه يا حيران في نورها وحجمها بالنسبة للنجوم الكبرى .. إن نور شمسنا يبلغ بتقدير العلماء ثلاثة آلاف مليون مليون شمعة ولكن ما قولك إذا عرفت أن نور النجم المسمى (الشعرى اليمانية) أقوى من نور شمسنا ستة وعشرين مرة ، وأن هنالك في النجوم البعيدة شموساً نورها أقوى من نور شمسنا بمائة مرة . . وماذا تقول يا حيران إذا عرفت أن العلم اكتشف اليوم أن هناك نجوماً نورها أقوى من نور شمسنا بـ ٥٠٠ ألف مرة ..

قال الفتى الحيران لأستاذه الحكيم : سبحان الله العظيم كيف تقف هذه الأحجام والأوزان الهائلة في الفضاء بهذا التوازن العجيب .. ؟

قال الشيخ : يجيبك القرآن عن ذلك يا حيران :

« إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » .

ويقول العلم : إن هذا الإمساك يحصل بقوة الجاذبية التي شاهد العلماء آثارها وأحصوا أطوارها ، ومسوا سطوحها ، ولم يسبروا أغوارها ، وعرفوا قوانينها ونواميسها ولم يعرفوا بعد أسرارها ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولعمري إنه الحق ما قالوا .. فالجاذبية حق ، وقوانينها المحسوبة المتناسبة المتزنة حق وكل ذلك من صنع الله الحق . . .

« وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » ..

صدق الله العظيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مزيداً من الحقائق

قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ... ؟

فقال رضي الله عنه :

أفأعبد ما لا أرى ؟

قيل : وكيف تراه ؟

قال : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان .

نهج البلاغة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لو لم يكن هذا الكلام مكتوباً في « نهج البلاغة » .. ونسبته إلى الامام علي موثقة .. لقلت : إن كاتب هذا الكلام عالم متخصص في كل علوم الأحياء ، والفلك والجيولوجيا .

ولكن مأساتنا نحن .. المسلمين أننا لا نعرف من تراثنا شيئاً . . ونعيش على « فتات » غيرنا علماً ... وثقافة ... وفكراً .. وحتى ما نعرفه من هذا التراث . نعرفه بعد أن يجيء إلينا « مصدراً » وموثقاً من آخر الدنيا ..

وأعترف أنه لولا حرصي – ككاتب – على التجديد والبحث ... ما كنت عرفت عن هذه الحقيقة شيئاً .. أقرر ذلك رغم أني قرأت كتاب « نهج البلاغة » هذا .. منذ أربعين عاماً ...

فماذا قال الإمام علي في « نهجه » ؟ أو ماذا قدم في « كتابه » من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أدلة يؤكد بها وجود الخالق جل شأنه[1] ؟

« لو فكروا في عظيم القدرة ، وجسيم النعمة ، لرجعوا إلى الطريق ، وخافوا عذاب الحريق ، ولكن القلوب عليلة ، والبصائر مدخولة[2] .

ألا ينظرون إلى صغير ما خلق ؟ كيف أحكم خلقه ، وأتقن تركيبه ، وخلق له السمع والبصر ، وسوى له العظم والبشر ؟

انظروا إلى النملة في صغر جثتها ، ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على أرضها ؟ ووصبت على رزقها[3] تنقل الحبة إلى جحرها ، وتعدها في مستقرها ، تجمع في حرها لبردها ، وفي ورودها لصدرها[4] مكفولة برزقها ، مرزوقة بوفقها[5] لا يغفلها المنان ، ولا يحرمها الديان ، ولو في الصفاء اليابس ، والحجر الجامس[6] ولو فكرت في مجاري أكلها ، وفي علوها وسفلها ، وما في الجوف من شراسيف بطنها[7] وما في الرأس من عينها وأذنها ، لقضيت

---

(١) انظر « نهج البلاغة » ص ٤٠ وما بعدها . ط . بيروت ١٣٨٧ هـ تحقيق الدكتور صبحي الصالح .

وانظر « نافذة على الايمان » لفضيلة الاستاذ الشيخ مصطفى الطير ص ٦٣ وما بعدها .

(٢) أي مصابة بالدخل وهو الفساد .

(٣) أي تعبت في جمعه وواظبت على جلبه ، والوصب : التعب .

(٤) الصدر : الرجوع بعد الورود

(٥) أي مرزوقة بما يوافق طبعها .

(٦) الصفا : الحجر الأملس العريض ، واحدة صفاة ، والجامس : الجامد .

(٧) الشراسيف : جمع شرسوف بوزن عصفور ، وهو الطرف اللين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من خلقها عجباً ، ولقيت من وصفها تعباً ، فتعالى الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها ، لم يشركه في فطرتها فاطر ، ولم يعنه في خلقها قادر[1] ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة ، لدقيق تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي ، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف ، والقوي والضعيف ، في خلقه إلا سواء .

وكذلك السماء والهواء ، والرياح والماء ، فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر ، والماء والحجر ، واختلاف هذا الليل والنهار ، وتفجر هذه البحار ، وكثرة هذه الجبال ، وطول هذه القلال[2] وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفات ، والويل لمن جحد المقدر ، وأنكر المدبر .

زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع ، ولا لاختلاف صورهم صانع ، ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا ، ولا تحقيق لما دعوا ، وهل يكون بناء من غير بانٍ ، أو جناية من غير جانٍ ؟

وإن شئت قلت في الجرادة ، إذ خلق لها عينين حمراوين ، وأسرج لها حدقتين قمراوين[3] وجعل لها السمع الخفي ، وفتح لها الفم

---

(١) أي ليس هناك قادر غيره تعالى اعانه في خلقها ، والفاطر : هو الخالق والدلالة على الخالق من صنع النملة والنخلة ، مع صغر الأولى وعظم الثانية فكلتاهما تدل على الصانع الحكيم القدير العليم

(٢) القلال هنا بمعنى الجبال ومفرده قلة بضم القاف .

(٣) مضيئتين تضيئان لها كما يضيء القمر فترى ما تقصده .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السوي ، وجعل لها الحس القوي ، ونابين بهما تقرض ، ومنجلين بهما تقبض[1] يرهبها الـزرّاع في زرعهم ولا يستطيعـون ذبهـا ولـو أجلبوا بجمعهم[2] حتى ترد الحرث في نزواتها[3] ، وتقضي منها شهواتها ، وخلقها كله لا يكوّن إصبعاً مستدقة[4] فتبارك الله الذي يسجد له ما في السموات والأرض طوعاً وكرها ، ويعنو له خدًّا ووجها[5] ويلقي إليه بالطاعة سلماً وضعفاً ، ويعطي له القياد[6] رهبة وخوفاً ، فالطير مسخرة لأمره ، أحصى عدد الريش منها والنفس ، وأرسى قوائمها على الندى واليبس[7] وقدر أقواتها وأحصى أجناسها ، فهذا غراب وهذا عقاب[8] وهذا حمام وهذا نعام دعا كل طائر باسمه ، وكفل له برزقه ، وأنشأ السحاب الثقال ، فأهطل ديمها وعدد قسمها[9] ، فبلّ الأرض بعد جفوفها ، وأخرج نبتها بعد جدوبها[10] .. »

* * *

(١) أي لها رجلان يشبهان المنجل في الاعوجاج والشرشرة .

(٢) أي لا يستطيعون دفعها ولو صاحوا جميعاً .

(٣) نزواتها وثباتها ، والحرث الزرع .

(٤) مستدقة أي دقيقة أو صغيرة .

(٥) أي يخضع له خدها ووجهها .

(٦) القياد حبل يقاد به .

(٧) المراد من الندى هنا : مقابل اليبس ، فيشمل الماء ، كأنه يريد أن الله أقدرها على الوقوف على الماء .

(٨) العقاب : طائر من كواسر الطير قوي المخالب .

(٩) أهطل ديمها . أدام المطر من سحائبها ، والهطل بفتح الطاء : تتابع المطر والدمع ، والديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق وقسمها أي أحصى ماقسمه لكل بقعة .

(١٠) جدوب الأرض : يبسها لاحتجاب المطر عنها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد نشر منذ خمسة وعشرين عاماً «كتاب» لمجموعة من العلماء المتخصصين في مختلف فروع المعرفة الحديثة Technology وقد أسهم كل عالم من هؤلاء العلماء ببحث عن «الله» والإيمان بوجوده من خلال الدراسة العملية في مادة تخصص كل عالم وأبحاثه ...

فقد كتب «فرانك آلن» عن «نشأة العالم» وهل كان مصادفة أم عن تدبير وقصد واختار «ميرابت ستانلي» لبحثه عنواناً سماه «درس من شجرة الورد».

أما العلماء الآخرون فقد اختاروا لبحوثهم أسماء أخرى تختلف باختلاف تخصص كل عالم في «المادة» أو في «ما وراءها» من أسرار يعجز العلم عن ادراك أتفهها وأحقرها ...

وعلى سبيل المثال كتب «توماس دافيد» بحثه تحت عنوان «الماء يروي لك القصة» واختار «لورانس ووكر» لبحثه عنوان .. «حقائق من سجل الغابات» وكتب «إيرل ربكس» بحثه باسم «الكون تحت سيطرة مركزية ...»

أما «روبرت هورتون» فقد كتب بحثه تحت عنوان «الانسان ذاته هو الدليل ..» وأخيراً يسجل «أندرو كونواي» العالم الفيزيائي الشهير بحثه تحت عنوان «وجود الله حقيقة مطلقة» ...

لقد أشرنا إلى بعض بحوث هذا الكتاب الذي صدر باللغة الانجليزية في الأصل The Evidence of God in an Expanding universe

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم ترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان « الله يتجلى في عصر العلم ... [1] »

فماذا يقول هذا الكتاب ... ؟

أو ماذا يقول بعض من كتبوا في هذا الكتاب ؟

فلنستمع إلى « جورج دافيز » عالم الطبيعة ورئيس قسم البحوث الذرية في البحرية الأمريكية – أولاً :

« ... مع تقدم الكشف العلمي ، ظهرت أسئلة لا مفر منها ، وهي أسئلة ليست مبتكرة وإن كانت تبدو جديدة بسبب النظرة الحديثة إلى تكوين هذا الكون الذي يعتبر الانسان جزءاً منه لا يتجزأ . ومن هذه الأسئلة ذات القيمة الكبيرة بالنسبة لمسؤولياتنا ومصيرنا النهائي ذلك السؤال القديم « **هل يوجد إله علوي هو خالق هذا الكون ؟** » .

وهنالك سؤال آخر أكثر صعوبة من سابقه وهو السؤال الذي يردده كثير من الأطفال في موجة من موجات الألمعية الخاطفة التي تطوف أحياناً بمخيلاتهم وهو « **إذا كان لهذا الكون خالق ، فمن الذي خلقه ؟** » .

ولا يمكننا أن نثبت وجود الله عن طريق الالتجاء إلى الطرق المادية وحدها إذ لم يقل أحد بأن الله مادة حتى نستطيع أن نصل إليه بالطرق

---

(١) قام بالترجمة الدكتور الدمرداش عبد المحيد سرحان وراجعه وعلق عليه الدكتور محمد جمال الفندي – القاهرة – ١٩٦٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المادية ولكننا نستطيع أن نتحقق من وجود الله باستخدام العقل والاستنباط مما نتعلمه ونراه ، فالمنطق الذي نستطيع أن نأخذ به ، والذي لا يمكن أن يتطرق إليه الشك ، هو أنه ليس هنالك شيء مادي يستطيع أن يخلق نفسه .

وإذا سلمنا بقدرة الكون على خلق نفسه ، فاننا بذلك نصف الكون بالألوهية . ومعنى ذلك أن نعترف بوجود إله ، ولكننا نعتبره إلهاً مادياً وروحياً في نفس الوقت وأنا أفضل أن أؤمن باله غير مادي خالق لهذا الكون تظهر فيه آياته وتتجلى فيه أياديه ، دون أن يكون هذا الكون كفواً له .

وأحب أن أضيف إلى هذا الاستدلال ، استدلالاً آخر : وهو أنه كلما ارتقى وتقدم نظور المخلوقات ، كان ذلك أشد دلالة على وجود خالق مدبر وراء هذا الخلق .

إن التطور الذي تكشف عنه العلوم في هذا الكون ، هو ذاته شاهد على وجود الله . فمن جزئيات بسيطة ليس لها صورة معينة وليس بينها فراغ نشأت ملايين من الكواكب والنجوم والعوالم المختلفة لها صور معينة وأعمار محددة تخضع لقوانين ثابتة يعجز العقل البشري عن الإحاطة بمدى إبداعها .

هذه أدلة كافية ، ولكن هنالك ما هو أشد إعجازا وأكثر دلالة على وجود الله . فمن تلك الجزئيات البسيطة لم تنشأ النجوم والكواكب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فحسب ، بل نشأت كذلك أنواع متطورة من الأحياء ، بل كائنات تستطيع أن تفكر وتبتكر وتخلق أشياء جميلة ، بل هي تبحث عن أسرار الحياة والوجود . إن كل ذرة من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله ، وإنها تدل على وجوده حتى دون حاجة إلى الاستدلال بأن الأشياء المادية تعجز عن خلق نفسها » .

* * *

أما الدكتور « ألبرت ماكومب » أستاذ علم الأحياء ، والرئيس السابق لأكاديمية العلوم فيقول ويتساءل :

هل من الممكن أن يكون للمشتغل بالعلوم نفس الاعتقاد بوجود الله ، والتقديس له ، كغير المشتغل بالعلوم ؟ وهل يوجد في دائرة المستكشفات العلمية ما يمكن أن يقلل من تقدير الانسان لقدرة الخالق الأعظم وجلاله ؟ تلك أسئلة تطوف أحياناً بعقول بعض من يظنون أن العلماء في ميادين بحوثهم المتسعة يكتشفون من الحقائق ما قد يتعارض مع الدين حسب تفسير بعض المفسرين .

ومن أمثلة ذلك ما حدث لي شخصياً عندما كنت طالباً بالجامعة وكنت قد قررت أن أدرس العلوم . وإنني لأذكر جيداً كيف أخذتني إحدى عماتي جانباً ذات يوم وتوسلت إليّ أن أعدل عن هذا القرار ، لأن العلوم ، كما كانت تعتقد ، سوف تقضي على إيماني بالله . لقد كانت تعتبر ، كما يعتبر الكثيرون ، أن العلوم والدين قوتان – متعارضتان ، وأنهما لا يمكن أن يجتمعا في قلب رجل واحد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأنني لأشعر بالغبطة تملأ قلبي اليوم ، بعد أن درست العلوم المختلفة ، واشتغلت بها سنوات عديدة ، ولم يكن في ذلك ما يزعزع إيماني بالله ، بل إن اشتغالي بالعلوم قد دعم إيماني بالله حتى صار أشد قوة وأمتن أساساً مما كان عليه من قبل .

ليس من شك أن العلوم تزيد الانسان تبصراً بقدرة الله وجلاله ، وكلما اكتشف الانسان جديداً في دراسته وبحثه زاد بالله ايمانه ..

ان الانسان لا يستطيع أن يدرس أعمال أي صانع من الصناع دون أن يحيط بقدر من المعلومات عن الصانع الذي أبدع تلك الأعمال ، وكذلك نجد أننا كلما تعمقنا في دراسة أسرار هذا الكون وسكانه ، ازددنا معرفة بطبيعة الخالق الأعلى الذي أبدعه . وقد اشتغلت بدراسة علم الأحياء ، وهو من الميادين العلمية الفسيحة التي تهتم بدراسة الحياة ، وليس بين مخلوقات الله أروع من الأحياء التي تسكن هذا الكون .

انظر إلى نبات برسيم ضئيل وقد نما على أحد جوانب الطريق . فهل تستطيع أن تجد له نظيراً في روعته بين جميع ما صنعه الانسان من تلك العدد والآلات الرائعة ؟ انه آلة حية تقوم بصورة دائبة لا تنقطع آناء الليل وأطراف النهار بآلاف من التفاعلات الكيموية والطبيعية ، ويتم كل ذلك تحت سيطرة البروتوبلازم وهو المادة التي تدخل في تركيب جميع الكائنات الحية .

فمن أين جاءت هكذا هذه الآلة الحية المعقدة ؟ إن الله لم يصنعها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هكذا وحدها ، ولكنه خلق الحياة وجعلها قادرة على صيانة نفسها وعلى الاستمرار من جيل إلى جيل مع الاحتفاظ بكل الخواص والمميزات التي تعيننا على التمييز بين نبات وآخر . إن دراسة التكاثر في الأحياء تعتبر أروع دراسات علم الأحياء وأكثرها إظهاراً لقدرة الله . إن الخلية التناسلية التي ينتج عنها النبات الجديد تبلغ من الصغر درجة كبرى بحيث تصعب مشاهدتها الا باستخدام المجهر المكبر ومن العجيب أن كل صفة من صفات النبات : كل عرق ، وكل شعيرة ، وكل فرع على ساق ، وكـــل جذر أو ورقة يتم تكوينها تحت إشراف مهندسين قد بلغوا من دقة الحجم مبلغاً كبيراً فاستطاعوا العيش داخل الخلية التي ينشأ منها النبات . تلك الفئة من المهندسين هي فئة الكروموسومات .

ولهؤلاء المهندسين ذوي الأحجام الضئيلة القدرة على تعديل خواص النباتات التي تنتجها هذه الخلايا الدقيقة في فترات نادرة من الزمان ، فهي بذلك تنتج كائنات أكثر قدرة على التلاؤم من أسلافها . لقد مرت بالبشر فترة كان أغلب الناس يعتقدون فيها أنه من الكفر أن يعتقد المرء أن الكائنات الحية التي تعيش اليوم على سطح الأرض كانت في يوم من الأيام على صورة تخالف الصورة التي خلقها الله عليها بادئ الأمر أما في الوقت الحاضر فان معظم المفكرين يرون أن خلق كائنات لها القدرة على التكاثر وعلى تغيير أشكالها وتركيبها ، تبعاً للظروف التي تحيط بها ، يعد أشد دلالة على قدرة الله من خلق كائنات لا تتطور ولا تستطيع الا أن تنتج صوراً مكررة من أنفسها طيلة الزمان .

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ترى ماذا يقول « الحائر الصغير عندما يفكر .. »

لقد كتب الدكتور « رسل لويل مكستر » يقول تحت هذا العنوان الجميل المبتكر ..

يعرف الانسان ربه لأول مرة عن طريق والديه ، فهما يستخدمان لفظ الجلالة بكل تقديس ، وبذلك يتعلم الطفل منذ صغره أن يلجأ إلى الله بطريقته البسيطة ، وأن يسأله أن يقضي له حوائجه بنفس الطريقة التي يلجأ بها إلى أبيه ويكون الطفل في هذه المرحلة راضياً ومطمئناً إلى ربه الذي لا يراه .

ثم يكبر الطفل ويقرأ في الكتب قصص المؤمنين الذين ساروا في طريق الله فكان ذلك نجاة لهم من الوحوش ، وبرداً وسلاماً عليهم من النار ، ومنجاة من ضرب السيوف وقوة من ضعف ، وتأييداً في مواقف القتال . وكم يستولي على الطفل الاعجاب ببطولة هؤلاء المؤمنين ، وكم تتوق نفسه إلى الاقتداء بهم واتخاذهم أسوة له في حياته . إنه يرى أن ذلك يعينه على صيانة الأمانة ، ويشعر ان له رفاقاً من الماضي يشدون أزره ، ويقوون عزيمته ويبثون الشجاعة في نفسه على مدى الحياة .

فإذا دخل الطفل المدرسة جذبته في اتجاهين متعارضين : فهي من جهة تقوي إيمانه بالله ، وهي من جهة أخرى تضعف إيمانه به . وهو يتعلم أن بلاده تتألف من جماعات كثيرة بينها مصالح مشتركة ، ويقود كل جماعة من هذه الجماعات رئيس أو زعيم ، ويسيطر على جميع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هؤلاء الرؤساء قائد كبير يفرض الأمور على الناس ، وعلى الناس جميعاً أن يطيعوا أوامره .

ويتصور الطفل الاله المسيطر على هذا الكون في صورة الرئيس من حيث سلطته التي يفرضها على الآخرين . ولما كان من الطبيعي أن يكون للناس قائد يدبر أمورهم فلا بد أن يكون لهذا الكون مدبر يدبره ويفرض سلطانه على جميع البشر والكائنات .

ومن جهة أخرى فانه إذا كان الناس ينتخبون رئيسهم ، فان فكرة وجود الله بالنسبة إلى هذا التلميذ الصغير قد لا تعدو أن تكون مجرد صورة ذهنية تجول في عقول الناس . وكثيراً ما تستولي الحيرة على عقل هذا الطفل فيتساءل : ترى هل يوجد اله حقيقة ؟ وإذا كان يوجد فما كنهه وما صورته ؟ وعندما يصل الطفل إلى هذه المرحلة من الشك والوساوس ، كثيراً ما يطرح تفكيره العقلي في الله جانباً ، وقد يسلم بوجوده استسلاماً ، وقد يطلب إلى اصدقائه أن يبتعدوا عن الحديث في هذا الموضوع حتى لا يثيروا قلقه ، وعندئذ يصير الطفل تائهاً حائراً . فهو يؤمن بوجود الله لأنه يشعر انه يجب عليه أن يكون مؤمناً ، وهو في الوقت ذاته لا يحب أن يعبث عقله بايمانه .

ويقرأ الطفل أحد الكتب المقدسة ، ويجد فيه أن الانسان يستطيع أن يصل الى الله باستخدام عقله ، وأنه لا بد أن يقوم الايمان بالله على أساس المنطق والتفكير ، وعندئذ يجد صاحبنا في البحث والدراسة ،